

عوامل التطور والتنظيم الصحي للثورة التحريرية (1956-1962).

أ. عائشة مرجع / قسم التاريخ / جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان.

jaalabaicha@gmail.com

الملخص :

يعالج هذا المقال موضوع في غاية الأهمية ، اذ يبرز تطور التنظيم الصحي للثورة التحريرية ، ذلك أن الثورة عاشت في مرحلتها الأولى (1954-1956) نقص فادح في توفر الخدمات الصحية واعتمادها على الوسائل التقليدية ، ونظرا لتطور الأحداث وزيادة عدد الجرحى والمرضى في صفوف المجاهدين و المدنيين على حد سواء ، كان لابد من تأسيس تنظيم صحي ، هذا الأخير ساهم في تأسيسه وتطويره عوامل عدة يمكن طرح أهمها كالتالي : بداية بالإضراب اللامحدود للطلبة الجزائريين 19 ماي 1956 ، الذي زود الثورة بإطارات طبية متعددة من أطباء وصيادلة وممرضين ، ثم مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 ، الذي عمل على تنظيم الثورة في جميع الجوانب ، ليحضى جانب الصحة هو الآخر بمجموعة من القوانين والقواعد التنظيمية ، كما كان لتأسيس الهلال الأحمر الجزائري دور مهم في الصحة بتوفير الأدوية والعلاج والتكوين ، ولا يمكننا صرف النظر عن الدعم الخارجي للصحة سواء الدول الأجنبية أو العربية والقواعد الخلفية التي كان لها دور جد مهم في إنعاش القطاع الصحي للثورة التحريرية ، وكذا المنظمات الانسانية .

الكلمات المفتاحية :

الثورة ، الصحة ، الهلال الأحمر الجزائري ، الأطباء ، الجرحى ، المراكز الصحية .

الملخص باللغة الانجليزية :

This article deals with a very important topic .It shows the revolution of the health organization of the Algerian war of independence .In fact , first phase of that revolution ,which lasted from1956 to 1962,head seen a fatal deficiency in the availability of health service because of the reliance on the traditional methods .After the growing of the war events and the increase in the number of the sounded and the injured in the ranks of the fighters and civilians as well ,it was necessary to establish a well-organized sector for health .this letter was achieved and developed due to many factors.

First ,the start of unlimited strike ,lead by the Algerian students on the 19th of my 1956,provided the revolution with multiple medical aid rich as doctors ,pharmacists and nurses .Second ,the appearance of the Soumam congress in August 20th,1956 gave a new order and well-structured organization in various aspects like "health" .In addition to this ,the establishment of the Algerian red crescent had played an Important role as it provided medicines ,treatments and training for soldiers .Most importantly ,it' s impossible to deny the external support which

came from either the foreign countries or the Arabes ones in addition to the "rear" bases and the humanitarian organizations that had an active role in enhancing the health field of the Algerian revolution .

key words

The Revolution. The Health, the Algerian Red Crescent, the doctors, the wounded, the health centers.

المقدمة :

انطلقت ثورة الفاتح نوفمبر سنة 1954 ، بتنظيم عسكري وسياسي تطور مع تطور الثورة ، ليشمل فيما بعد جميع جوانب الحياة .

تعددت الدراسات الأكاديمية والكتابات التاريخية التي تناولت الثورة بأقلام جزائرية وأجنبية ، غير أن اهتمام هذه الكتابات في مجملها تتمحور حول الجوانب العسكرية والسياسية ، وأغفل أصحابها بذلك الجوانب الأخرى من الثورة ، مثل الجانب الصحي الذي يعتبر من المقومات الأساسية في الكفاح المسلح .

وقد عرف القطاع الصحي خلال الثورة التحريرية بمرحلتين :

المرحلة الأولى بدأت مع اندلاع الثورة التحريرية وعرفت بالمرحلة البدائية استمرت الى سنة 1956 ، والمرحلة الثانية التي عرفت بمرحلة التطور والتنظيم ، الذي كانت ثمرة لمجموعة من العوامل تغطي الفترة التاريخية ما بين سنة 1956 وسنة 1962 .

أحاول في هذا المقال تسليط بعض الأضواء على قطاع الصحة خلال الثورة التحريرية من حيث نشأته و أسباب وعوامل تطوره و تنظيمه .

1- الوضع الصحي في بداية الثورة التحريرية :

مع اندلاع الثورة التحريرية كان قطاع الصحة بصورة عامة منعزلا تماما وحتى الإطارات الطبية في هذه المرحلة كان تكوينها في معظمه بدائيا¹، نظرا للظروف التي اندلع فيها العمل المسلح.

فمن المعلوم أن قادة الثورة الذين أشرفوا على التحضير للعمل المسلح، كانوا يعملون في سرية تامة، وكان شغلهم الشاغل في تلك المرحلة التحضير للكفاح المسلح، وتوفير الوسائل المادية² الكفيلة بإنجاح عملية الانطلاق، الأمر الذي جعل قادة الثورة لا يولون وسائل التمريض الأهمية الكبرى إلا بعد أن لاحت الخسائر البشرية من جرحى ومرضى جراء العمليات العسكرية .

لذلك فإن المرحلة الأولى من عمر الثورة والممتدة ما بين 1954-1956، لم تسجل أي تنظيم صحي ولا توفر للوسائل البشرية والمادية²، وهذا لا يعني أن الثورة في هذه المرحلة كانت بدون غطاء صحي وإنما كان ذلك متوقفا على مجهودات واجتهادات كل منطقة في استغلال الوسائل والإمكانات المتاحة.

بقيت الحاجة الماسة إلى تنظيم صحي، تؤكدته وتفرضه المشاكل الجديدة التي تطورت مع تطور الكفاح المسلح، تخصص مستلزمات العناية الصحية: كالأدوية

والضمادات ووسائل الجراحة البسيطة وكيفية التكفل بالجرحى والمرضى وطرائق نقلهم وعلاجهم وإيوائهم والحاجة إلى إطارات متخصصة.

وأمام الواقع الصحي المتردي لم يكن أمام جبهة التحرير الوطني سوى الاستعانة بأطباء وممرضين متطوعين يقومون بإسعاف المرضى، غير أن الرقابة الاستعمارية الشديدة زادت من حدة المشاكل، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك منها ما جرى مع الدكتور "بن عودة بن زرجب"³، الذي عمل على إسعاف الجرحى وعلاجهم، وتوفير الأدوية والدعم اللوجيستكي للثورة، لكن السلطات الاستعمارية منعتة من مواصلة عمله النضالي باغتياله في 17 جانفي 1956⁴.

وأما هذه التحديات انصب الاهتمام على ضرورة انشاء مصلحة الصحة بدأت تظهر معالمها منذ سنة 1956

2 - إضراب 19 ماي 1956:

ان الاضراب التاريخي للطلبة الجزائريين في 19 ماي 1956، جعل كثيرا من طلبة الطب والصيدلة يلتحقون بهذا الاضراب، فكان الطلبة متحمسون لفكرة العمل المسلح وأرادوا العمل من اجل مساندة الثورة، فقرروا الاضراب عن الدروس والامتحانات⁵، الى أجل غير محدود وطالبوا الالتحاق بالمجاهدين في الوعار والجبال، وهكذا تركوا الجامعات والمعاهد العلمية قريب موعد الامتحانات التي كانت للعدد الكثير منهم المرحلة الأخيرة لإنهاء دراستهم⁶.

حيث وصف ذلك أحد الطلبة الجزائريين "عبد الرحمان شريط" قائلا: "كنا منذ المؤتمر الثاني، نشعر بأن الثورة أصبحت في حاجة إلى فئات متعلمة، ونحس بأننا بدراستنا في الجامعات أصبحنا نعتبر بأننا لسنا في الثورة، ولذلك أصبح لدينا شعورا بضرورة مغادرة الجامعة، والقيام بعمل يبعد عنا هذا الإحساس، وأصبحنا نرى بأنه ليس هناك من جدوى لمواصلة العمل في الجامعات في الوقت الذي تحصد فيه فرنسا العديد من الأرواح..."⁷.

قد تم قرار الإضراب بالإجماع، بعد اجتماع أعضاء اللجنة الجزائرية للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في 19 ماي 1956، بنادي سعدان الموجود بالقصبة السفلى وقد صوت الحاضرون على لائحة تطالب بالإضراب العام اللامحدود وتدعوا الطلبة للانخراط في صفوف جبهة التحرير الوطني⁸، وخرج الطلبة من اجتماعهم المذكور ببيان يعلنون فيه عن الدخول في اضراب لا محدود عن الدروس والامتحانات ابتداء من 19 ماي 1956.

قد استجاب الطلبة فعلا، بحيث قام الطلبة بالإضراب على المستوى الداخلي و الخارجي، بل تعدى ذلك المحيط الجامعي من خلال التحاق عدد هائل من تلاميذ الثانويات بالإضراب، حيث تقلص عدد الطلبة الجزائريين بالجزائر من 684 سنة (1955-1956) إلى 276 طالب خلال سنة (1956-1957)، وبفرنسا تشير التقديرات بان ما يقارب 700 طالب جزائري مسجل بالجامعات الفرنسية شارك في الإضراب⁹، وقد أخذت هذه الأرقام منحى واضحا في طلبة الطب والصيدلة.

والتحق عدد كبير منهم بالثورة نذكر منهم على سبيل المثال : وجدي دمرجي، تيجاني، ومراد طالب ، رابح علواش ، جليل حسن ¹⁰ ، عبو بجاوي، عبد الوهاب حسن ¹¹ ، عبد الرحيم كمال، شريف مولاي إدريس ، إضافة إلى عدد هائل من الممرضين، فاختلفت مهمتهم في الثورة فهناك من مارس عمله في الملاجئ والقواعد الخلفية، وهناك من التحق بالجبال، حيث يقول الدكتور بن سالم "كان الاضراب ذا دلالة معتبرة، مفرزا نتائج ثقيلة، فهمنا أن مهمات عظام بانتظارنا.."¹²

قبل التحاق هؤلاء الطلبة بعملهم كانوا يخضعون لتكوين أولي في مجال الطب و التمريض، وتعددت مهماتهم بين علاج المرضى والجرحى والتكفل بهم و تقديم الخدمات لسكان المناطق المعزولة والقرى و المداشر، وممن أشرف على تكوين الطلبة نجد الدكتور محمد الصغير النقاش. "¹³

وبهذا ساهم الطلبة في تحسين الوضع الصحي، سواء من حيث التنظيم و الهيكلة، أو من ناحية الخدمات المقدمة من علاج المجاهدين والمدنيين بوسائل بسيطة تطورت تدريجيا، ليتمكنوا بهذا من تعزيز النظام الصحي للثورة التحريرية وتدعيمه سواء داخل البلاد أم خارجها.

2 - قرارات مؤتمر الصومام في المجال الصحي :

جاء المؤتمر بعد مرور عامين من اندلاع الثورة التحريرية، فكانت هناك عوامل عدة دفعت القيادة العليا للثورة إلى اخذ قرار عقد مؤتمر وطني تقوم فيه جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير بوضع قاعدة أساسية تقوم عليها إستراتيجية العمل الثوري ومن اجل إعطاء الثورة صبغة نظامية على جميع الأصعدة (سياسيا، عسكريا، وإداريا....)، وقد

ظل اختيار الزمان والمكان لعقد المؤتمر مشكلا يطرح نفسه حتى استقر الأمر في الأخير بالاستعداد لعقد أول مؤتمر وطني وذلك يوم 20 أوت 1956¹⁴ ، بقرية افري دوار أوزلاقن غابة أكفادو في سفوح جبل أزرو. طرحت مجموعة من القضايا في المؤتمر ليخرج بمجموعة من القرارات التنظيمية مست جميع الجوانب من أجل إعطاء قوة للثورة.

ما يهمننا في هذا الموضوع هو قرارات المؤتمر في مجال الصحة ،فقد جاءت قرارات مؤتمر الصومام لتنظيم هذا الجهاز الخاص ،و تأطيره وتحديد مهامه وصلاحيات أطره ،والبحث عن الدعم له في الخارج لاقتناء احتياجاته وتكوين طاقمه واستقبال الجرحى والمرضى وعلاجهم، حيث أكد المؤتمر في قراراته على تنظيم الخدمات الصحية ، وهيكله المصالح الصحية بشريا وماديا، بالتنسيق مع المستشفيات ومراكز العلاج وتوفير الأدوية ،وعلاج الجرحى والمرضى ،وتقسيم المهام مثلما جعل من مهام المسبل التموين بالأدوية والاعتناء بالجرحى ، كما أكد المؤتمر على ضبط النظام الصحي داخليا وسن الحقوق و الواجبات .

وبمقتضى قرارات مؤتمر الصومام كانت قاعدة الهرم الصحي موكلة إلى المحافظ السياسي¹⁵ ، الذي كان يجمع بين وظائف عدة لصالح الثورة، إضافة إلى جهاز الصحة ومستلزماته من أدوات طبية وأدوية، وبعد ذلك قامت قيادات الثورة بالحرص على نظام الصحة مثل قانون الجريح المتعلق بالجروح والعلاج والسلوك ونظام المعيشة والخروج والعقوبات¹⁶ ، كما خصص المؤتمر رواتب لإطارات الصحة اذ تم منح الأجور حسب درجة ومستوى الموظف في المصلحة الطبية:

1 الممرضون والمرضات مثل العريفون: 1500 فرنك فرنسي قديم

2 مساعدا الأطباء مثل الملازم: 2500 فرنك فرنسي قديم

3 أطباء راتبهم مثل الضابط الأول: 4500 فرنك فرنسي قديم .¹⁷

وتطبيقا لقرارات مؤتمر الصومام تم تأسيس إدارة حقيقية تعنى بشؤون الصحة سنة 1957¹⁸، أوكلت مهمتها للدكتور محمد نقاش، هذا ما أضفى صبغة نظامية للصحة يمكن ملاحظتها في تنظيم المستشفيات بالقواعد الخلفية لمساعدة المجاهدين واللاجئين.

فقد أكد المؤتمر على أهمية جهاز الصحة وضرورته، ما يؤكد ذلك اهتمامه بصحة المجاهد وتبين ذلك في محضر المؤتمر بان كل مستوظف جديد سيفحص أن أمكن.¹⁹ وبهذا

استطاع المؤتمر أن يغير بالوضع الصحي للأحسن، وهذا ما ظهر على أرض الواقع حيث أصبح للثورة تنظيم صحي يشمل مختلف الهياكل الطبية وطب الأسنان والصيدلة، هذه الأخيرة التي واجهت فيها الثورة مشاكل عدة، فقد كانت هناك حاجة ماسة للأدوية التي كان يتم شرائها وجمعها عن طريق المساعدات الخارجية .

أما بداخل الجزائر فكان هناك تنسيق فيما بين الولايات والمناطق بطريقة منظمة وموثقة هذا ما تؤكد به بعض الوثائق الأرشيفية مثل مساعدة المنطقة 7 الى المنطقة 3 من الولاية الخامسة بمجموعة من الأدوية التي كانت تحتاجها عن طريق رسالة ادارية²⁰.

كما دعى المؤتمر الى تسيير شؤون السكان من احصاء، وجمع الاشتراكات والبحث عن ينابيع الماء، تأمين وسائل معيشة الشعب والسهر على صحتهم، بإيفاد الممرضين

والممرضات الى كل منزل في البادية وتوزيع الأدوية ومعالجة الأمراض ، فلم يقتصر عمل هؤلاء الممرضين على اسعاف المجاهدين فقط ، بل حتى المدنيين يسعفون ويتلقون منهم كل العناية²¹.

3- الدعم الخارجي والهجرة :

أ-على مستوى القواعد الخلفية :

لا يمكننا تجاوز دور اللاجئيين الجزائريين في المغرب وتونس في تعزيز وتطوير الخدمات الصحية لجبهة التحرير الوطني ، فقد كان لطلبة الطب والأطباء المهاجرين دور مهم في القواعد الخلفية حيث عملوا على تأسيس مراكز صحية للعلاج والنقاهاة والتكوين في مجال الصحة، بحيث تبقى أفضل المدارس العسكرية للتمرير هي التي كانت توجد في القواعد الخلفية سواء في تونس أو المغرب²²، فقد استقبل المغرب الأقصى عددا هائلا من اللاجئيين ووفر لهم الدعم في مختلف المجالات.

فقد كان لتعاطف الشعب المغربي مع القضية الجزائرية، دفعا قويا مكن من الانجاز التدريجي لقاعدة لوجستية جد مهمة، وفتح الحدود الجزائرية المغربية أمام الجزائريين من لاجئين ومحروحين ومرضى، حيث تمكن الأطباء والمجاهدين الجزائريين من تأسيس العديد من المراكز التدريبية والصحية التابعة لجبهة التحرير الوطني (مركز العرايش،قاعدة بن مهدي،مركز زغنغن، دار الكبداني، مركز بوصافي.....)، ومن الأطباء الذين التحقوا بالقاعدة الغربية لجبهة التحرير الوطني : مصطفى علال، رابح علوش،علي باشا بلخروبي، بن ديمراد، عبد السلام تيجاني هدام،محمد أمير بن عيسى الذي قام بتأسيس المدرسة العسكرية للممرضين²³، زيادة على ذلك استقبال مستشفيات المغرب

عدد من المرضى والجرحى الجزائريين وهذا ما أكده ملك المغرب في زيارته الى وجدة بقوله: "المستشفى الرئيسي... في وسط المرضى اعتنى بالعديد من الجرحى الجزائريين .."²⁴.

أما القاعدة الشرقية فهي الأخرى هاجر إليها عدد هائل من طلبة الطب والأطباء الذين عملوا على مواصلة عملهم ضمن جبهة التحرير الوطني، وقد بلغ عدد الأطباء وطلبة الطب حوالي 45 بتونس، وتم تعيين مجموعة من الأطباء الجزائريين في المستشفيات التونسية من بينهم الدكتور علي عقبي، بشير منتوري، بلعباس بوذراع، مراد بيليم، كما تم تدعيم معسكر الملاجئ بمراكز للصحة "غارديماو"، "تاجورين"، "تهالا" إضافة إلى مراكز صحية مشتركة بين تونس والجزائر يكمن دورها في تقديم العلاج المناسب وتمويل جيش التحرير الوطني بالدواء مثل: مركز الحبيب ثامر، مركز باجة، تبرت، مدين، الكاف، القصيرين، قابس²⁵.

ولم تقتصر وظيفة المراكز الموجودة في المغرب وتونس على علاج الجرحى والمرضى فقط، بل فتحت مجالاً لتكوين الممرضين والممرضات، وقد كان لكل مركز برنامج تكوين خاص به، مثلما قام الدكتور محمد أمير بن عيسى ببرنامج خاص للتكوين، فقد كان التكوين الطبي في المدرسة العسكرية يشتمل على مراحل وتقنيات بيداغوجية محكمة، كان هدفها الحصول على ممرضين ذوي كفاءة عالية في أقصر مدة زمنية لتقليص العجز في الموارد البشرية الطبية في الداخل²⁶.

في إطار الحديث عن الدعم المغاربي للثورة لا يمكننا أن نغفل مشاركة أطباء المغرب وتونس في الثورة، ومساندة جبهة التحرير الوطني، فهناك العديد من الأطباء التونسيين

الذين نلزم أن ننوه بأسمائهم مثل الدور الكبير الذي لعبه الدكتور حجري، والدكتور بن قطاف، وزهير الصافي.

أما في المغرب فهناك أيضا العديد من إطارات الصحة الذين ساندوا الثورة من بينهم الدكتور عبد الرحمان التازي الذي كان يعالج الجرحى في عيادته والدكتور أحمد الخطيب.

ب- الدعم العربي والأجنبي:

لا بد من الحديث عن الدعم الذي قدمته بعض الدول في هذا المجال، فقد كان لأطباء العرب مشاركة في الثورة التحريرية مثلما حدث مع الأطباء السوريين الستة "نور الدين العطاسي، يوسف الزعيم، سفوح العطاسي، صالح السيد، رياض برمادة، ابراهيم محوس" الذين سافروا إلى تونس للالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني كمتطوعين²⁷. ومن مظاهر الدعم الأجنبي، الاسبان من خلال المستشفى الاسباني بالناظور الذي كان يستقبل الجرحى منذ 1959، وألمانيا التي بفضلها تمت عمليات عبور جزء كبير من المساعدات الاشتراكية الأوربية (الأدوية، الأجهزة الطبية والأغطية)، السويد التي قدمت العون للاجئين على طول الحدود المغربية والتونسية، ونقل أكبر المصابين من جيش التحرير الوطني، عبر ميناء طنجة في سفن نحو يوغسلافيا وبلغاريا وروسيا من أجل إجراء عمليات جراحية أو وضع أعضاء اصطناعية²⁸، وحسب النقيب الطيب النهاري أن البلدان التي قبلت بتلقي الجرحى الجزائريين لتزويج الأعضاء الاصطناعية هي : مصر، البلدان الشرقية (يوغسلافيا، هنغاريا، تشيكوسلوفاكيا، الاتحاد السوفيتي، ألمانيا الغربية) كوبا، الولايات المتحدة الأمريكية، حيث قدر عدد الجرحى المعطوبين الذين نقلوا إلى

الخارج عبر الدار البيضاء ب700 جريح، ولم تشمل مساعدات الدول الغربية استقبال الجرحى بل تعدت ذلك الى ارسال الأدوية والعتاد²⁹.

كما ساندت المنظمات العالمية الثورة الجزائرية مثل : الجامعة العربية التي عملت على تقديم الدعم المالي والمادي والدبلوماسي ،فقد أولت الأمانة العامة كبير عنايتها لمأساة اللاجئين الجزائريين في تونس والمغرب نتيجة لعوامل الطبيعة القاسية ونقص التغذية وازدحامهم في أمكنة غير صحية وقامت بالمساعي الكفيلة بتقديم المساعدة اللازمة لهم³⁰ ، واللجنة الدولية للصليب الأحمر التي عملت على زيارة السجون والملاجئ ،وقد كان ممثلوا اللجنة مرفقين بأطباء حتى يؤكدوا التقارير الملاحظة ،كانت هذه اللجنة تخفي حقيقة الأوضاع في بداية الأمر لكن بعد الزيارات المستمرة للسجون والمخيمات استنتج أعضائها ،أن قوانين الحرب بعيدة جدا عن الاحترام³¹ ، فاستطاعت مساعدة اللاجئين والسكان المدنيين في مخيمات التجميع من خلال مهمات التمريض وتوزيع المساعدات الاجتماعية.

4- تأسيس الهلال الأحمر الجزائريين :

بعد أن تم تنظيم قطاع الصحة لجهة التحرير الوطني منذ 1956، والظروف القاسية التي كان يعيشها الجزائريون، والسياسة الاستعمارية، وزيادة عدد اللاجئين على مستوى الحدود الشرقية والغربية كان لا بد من ضرورة وجود هيئة اجتماعية للتكفل بمشاكل الايواء والسكن والغذاء والصحة ،بهذا بادرت جبهة التحرير الوطني إلى تأسيس الهلال الأحمر الجزائري في مدينة طنجة من قبل مجموعة من إطارات الصحة

لجبهة التحرير الوطني "الدكتور بومدين بن إسماعيل³² والصيدلي مراد عبد الله في 11 ديسمبر 1956³³، واضعة الشروط التالية :

* عدم تعيين رئيس شرقي للجمعية

* اقتصاره على الجزائريين

* على أن تكون جلساتها علنية

* ضرورة استقالة أعضاء اللجنة الميسرة فور انتزاع الجزائر لاستقلالها

كما كان للهلال الأحمر الجزائري مكاتب فرعية بالمغرب حيث أمر بوصوف قائد الولاية الخامسة بإعادة تنظيم 4 مكاتب للهلال الأحمر الجزائري تحت اشراف الحاج عبد السلام ومساعدة بن عودة³⁴ واختيار مدينة طنجة مقرا لتأسيس هيئة الهلال الأحمر الجزائري لم يكن محض صدفة، فقد كان ميناء طنجة مقرا لانطلاق الجرحى المجاهدين في السفن باتجاه يوغسلافيا وبلغاريا وروسيا، لكي يتم علاجهم وإقامة عمليات جراحية.

بدأت لجنة الهلال الأحمر الجزائري العمل بإقامة علاقات مع الاتحاديات المماثلة لها في العالم مثل: اللجنة الدولية للصليب الأحمر، وذلك من أجل تحقيق أهدافها التي حددت منذ البداية وأعيد التذكير بها بعد حصول اللجنة على وصل الاستلام في 9 جانفي 1957³⁵، الذي كان يمثل الموافقة على إنشاء الهلال الأحمر الجزائري و تمثلت أهدافها في:

● انتزاع الاعتراف الدولي بمعاناة الشعب الجزائري وحقه في الحرية والاستقلال

● العمل على افتتاح اعتراف اللجنة الدولية للصليب الأحمر

● الحصول على مساعدات من المنظمات الإنسانية والدول الشقيقة والصديقة لمواجهة الوضعية الصعبة التي كان يعاني منها الشعب الجزائري³⁶

شملت نشاطات الهلال الأحمر برامج عدة ، كانت أهدافها إنسانية ، بحيث لعب دورا أساسيا في تحسيس الدول بمضاعفة العمل من أجل إغاثة اللاجئين والجرحى الذين فقدوا أطرافهم بسبب الحرب وخطوط الأسلاك الشائكة و المكهربة ، وقد استجابت العديد من الدول الأجنبية لهذا النداء .

في سنة 1957 إعادة هيكلة الهلال الأحمر الجزائري وتم تعيين عمر بوكلي حسان رئيسا لها ومصطفى بن أحمد نائبا له³⁷ ، ومن الأسباب التي أدت إلى إعادة الهيكلة هي إعادة النظر في تنظيم فروع الهلال الأحمر الجزائري والذي كان أولها يتمثل في مصالح الصحة لجيش التحرير الوطني ، وبعد تأسيس الحكومة المؤقتة الجزائرية تم نقل مقر الهلال الأحمر الجزائري إلى العاصمة التونسية في أكتوبر 1958 ، وتم تعيين المحامي بابا أحمد رئيسا³⁸ ، لتواصل نشاطات الهلال الأحمر في كسب التأييد العالمي ، وتوفير الدعم اللازم من أجل صحة جيش التحرير الوطني والجزائريين بالداخل والخارج ...

5 - مظاهر تطور وتنظيم الصحة بعد 1956:

تهيكلت وتوسعت الشبكة الصحية للثورة التحريرية بفعل تظافر عوامل مختلفة، انسانية ووطنية وتضامنية، فبدأت تظهر معالم التنظيم الصحي من خلال انشاء المستشفيات والمراكز الصحية داخل البلاد وعلى مستوى القواعد الخلفية بتونس والمغرب..

أسندت مهام الاشراف على السلك الصحي في البداية الى الحكيم محمد الصغير نقاش بتونس³⁹، الذي عرف بحبه للعمل وروح المسؤولية والقدرة العالية على التنظيم، مكنه ذلك من ارساء تغطية صحية مست كل أشكال الاسعاف والعلاج من خلال تكوين الممرضين.

أصبح من الضروري أمام النقص الفادح من الاطارات التي عليها القيام بدور التمريض، أن يكون جيش التحرير الوطني اطاراته بنفسه، فباشرت قيادة الصحة عبر الولايات التاريخية الست بفتح مراكز تكوين في الجبال والمناطق النائية أو البعيدة، يتلقى فيها الممرضون والممرضات تكويناً نظرياً لمدة ثلاثة أشهر متبوع بتربص تطبيقي مدته تسعون يوماً باللغة العربية والفرنسية يخص الاسعافات الأولية والعلاج الضروري⁴⁰.

وقد ساهم الهلال الأحمر الجزائري هو الآخر في عملية التكوين من خلال طبع كتيب للممرضين، عرف بدليل الممرض (Guide d'infirmiere)⁴¹، يتضمن اساليب العلاج المختلفة، ووصفات الأدوية و أنواعها، وقواعد النظافة والوقاية .

كما قامت جبهة التحرير الوطني، بتأسيس مراكز التكوين والتعليم الطبي بالقواعد الخلفية، تولى مسؤوليتها أطباء التحقوا بالثورة، مثل المدرسة الصحية العسكرية "بزغنغن" لتكوين الممرضين بالمغرب الأقصى، تحت الاشراف المباشر للدكتور

محمد بن عيسى أمير في 1959⁴²، والتي يقول عنها: "ليست تجربتنا هي الأولى فقد سبقنا الدكتور "هدام عبد السلام" و "علواش"، بتجربتهما في تكوين الممرضين في وجدة، وما قمنا به هو فقط محاولة تكوين مدرسة عسكرية شبه طبية لجيش التحرير الوطني .."⁴³، والمبادرة التي تم إطلاقها من طرف الدكتور "نقاش"، المتمثلة في تأسيس مراكز إعادة التأهيل لفائدة معطوبي جيش التحرير الوطني في "ناسن" بتونس، وتأسيس مدرسة للتدخل و الإسعاف تحت اسم الزاوية البكرية⁴⁴، وكانت تخضع عملية التكوين الى دروس نظرية وتطبيقية.

وفيما يخص القوانين الصحية والنظام الداخلي، قام كل من جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني بعد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956، بوضع قوانين ونظم للعمل العلاجي، هذا ما أدى الى تشابه المنظومة الصحية بين الولايات، عدا بعض الاختلافات فيما يخص الامكانيات الطبية وبعض الاختلافات الهيكلية القريبة .

كما عمل المؤتمر على ضبط المسؤوليات فأصبح هناك مسؤول ولائي للصحة، مسؤول منطقة، مسؤول ناحية وأخيرا مسؤول للقسم الذي يشرف على الوحدة الصحية.

اما بالنسبة للمنشآت الصحية، فقد استطاعت جبهة التحرير انشاء المستشفيات في أماكن آمنة في الكهوف والمغارات والأكواخ وسط الغابات، كانت تحتوي هذه المستشفيات على قاعة للطبخ وقاعات خاصة بالمرضى، على كازمة الأمن السرية التي لا تعرف إلا من طرف البعض، تحتوي على أسرة استقبال للجنود ذوي الاصابات الخطيرة الذي لم يكن في وسعهم نقلهم، وأدوية وأغذية التي لا يجب استخدامها إلا في حالة التدخل⁴⁵.

فعلى غرار المشافي قامت جبهة التحرير الوطني بتأسيس مراكز صحية داخل البلاد، مثل الولاية الثالثة التي قامت بتخصيص مركز صحي لكل ناحية، يسير من طرف طبيب أو مجموعة من الأطباء ومراكز صحية وتكوينية بالقواعد الخلفية، كما عملت الولاية الرابعة على تأسيس مراكز عدة عبر مناطقها الست (بني رزمان قرب تابلاط، ولد أنيد بوطالب، عمرونة، بيصة، الصباح⁴⁶..)

وقد تميزت بداية التنظيم الصحي بتسيير ايجاد ما تقتضيه المراكز من مستشفيات طبية وإطارات طبية ومواقع جغرافية آمنة، مع سهولة التحرك، لكن على الرغم من ذلك كانت هناك رقابة استعمارية على اماكن صحية مختلفة، وذلك بعض حصول السلطات الاستعمارية، على وثائق تتعلق بالجانب الصحي، هذا ما أكد لها على أن هناك علاقة بين الطب وجبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني، وتكثيف المراقبة في المراكز الحدودية والقواعد الخلفية، هذا ما مكنها من اكتشاف مواقع العديد من المستشفيات والمراكز الصحية، مثل اكتشاف العديد من المواقع العلاج لجبهة التحرير الوطني في المغرب الأقصى (بوعرفة، تاندره، جرادة، بركان، عين الصفا)⁴⁷.

أما الفترة التي رافقت قيام الجمهورية الخامسة، أصبحت صعبة وعسيرة للمصالح الصحية، نظرا لتشديد الرقابة وعزل الثورة بالأسلاك الشائكة والمكهربة في الحدود الغربية والشرقية، فضاق الخناق على الثورة وزادت مهمة المصالح الصحية لجبهة التحرير الوطني، بازدياد عدد المجروحين على مستوى هاته المشافي وتعدد الاصابات الخطيرة (شظايا القنابل، النبالم...).

خاتمة :

وما استخلصته في الأخير أن تطور وتنظيم الصحة جاء متزامنا مع تنظيم الثورة التحريرية، بحيث كانت سنة 1956، مرحلة ثانية مكنت من بلورة سياسة صحية مبنية على التنظيم المحكم والدقيق، واحترام المسؤوليات، وبذلك تبلور النشاط الصحي وأصبح منظما مستتيرا داخل الولايات التاريخية وعلى مستوى القواعد الخلفية.

ورغم كل الصعوبات وقلة الوسائل الطبية ومباغثة قوات الاحتلال مراكز العلاج وخنق الثورة من خلال الأسلاك الشائكة ومنع الوصول إلى المراكز الموجودة في القواعد الخلفية، إلا أن تصميم الأطباء والممرضين على تأدية واجبهم الوطني أثناء الثورة التحريرية لم يخمد بل تواصل حتى بعد الاستقلال.

التهميش :

1 خياطي، مصطفى : المآزر البيضاء خلال الثورة التحريرية ، ترجمة نسيمه غربي، منشورات ، الروبية 2013،ص.14،

2تومي، محمد:طبيب في معاقل الثورة حرب التحرير 1954-1962، ترجمة :حضرية يوسف، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين،2009،ص 45.

3الدكتور بن عودة بن زرجب: من مواليد 9 فيفري 1921 بتلمسان، نشأ وترى وسط عائلة محافظة، زاول دراسته الابتدائية بمسقط رأسه الابتدائية و الاكاديمية بمؤسسة de slane ،تحصل على شهادة الباكلوريا شعبة رياضيات سنة 1941 مكنته من الالتحاق بكلية الطب بالجزائر العاصمة أين واجه الكثير من الممارسات و التصرفات العنصرية من جانب الطلبة الأوروبيين أبناء المستوطنين ، فقرر السفر إلى فرنسا و التحق بكلية الطب بمونبوليه Montpellier ، ليواصل بعدها دراسته بباريس حيث ناقش أطروحته في الدكتوراه سنة 1948 بعنوان " مشكلات اللوكيميا

و الأورام من خلال حالات الكلوروميان " و بالموازاة انخرط في العمل النضالي الطلابي حيث شارك في مشروع تأسيس الاتحاد العام للطلبة المسلمين لشمال إفريقيا ، و أنتخب أمين للمال في الاتحاد . كما ينشط ضمن لجنة فلسطين العربية ، وفي صفوف حزب الشعب - حركة الانتصار لحريات الديمقراطية PPA-MTLD منذ عودته إلى تلمسان أين فتح عيادته الطبية ، بعد اندلاع الثورة التحريرية ربط الاتصال مع جبهة التحرير فعمل على مد العون من خلال علاج الجرحى والمرضى وتقديم المساعدات المادية، وفي إطار عمله النضالي قام بشراء آلة رالأبشع أنواع التعذيب حتى اغتياله في 16 جانفي 1956. انظر : DR Ben Zerdjeb Cdt : Bellahsene Bali : Djaber et Colonel Lotfi , thala Edition , p p (5.6.7)

⁴ -l'echo Oran , Importation CHEF du FLN DE TLEMCEN .
LE DECTOUR Benzergé abattu près de sebdou Alors qu'il
tentait se février 1956, N : 30439.

⁵ 1h1560-d1 : Organisation générale de F L N (Ministère des
affaire scolaire et culturelles U.G.E.M.A en France et à
L'étranger Fichier N : A 47-7.(09-03-1960)

6 جريدة المجاهد ، الجزء الأول ، العدد الأول ، تلبية الطلبة لنداء الوطن ، 1956 ، ص 19 .

7 عقيب ، محمد السعيد : الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ودوره في الثورة 1955-
1962 ، الطبعة الأولى ، الشاطبية للنشر والتوزيع ، 2012 ، ص 91 .

8 خياطي مصطفى : المآزر البيضاء خلال الثورة الجزائرية ، المرجع السابق ، ص 86 .

9 نفسه ، ص 89

10 برنو ، توفيق : الدكتور محمد بن عيسى أمير الطبيب المناضل 1926-1990 ، مذكرة نيل

ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية ، 2006/2005 ، ص

128

¹¹ Khiati ,Mostefa :Dictionnaire Bibliographique du corps de la santé(1954/1962),Edition ANEP ,2011, pp 19-17

¹² Djamel Eddine ;Bensalem :Voyez nos armes ,Voyez nos médecine ,Edition Regaia ;ALG ;2009 ;p 15.

13 يصف ذلك الطالب "لمين خان" كيفية التحاقه بالثورة قائلا : "أذكر أننا كنا مجموعة طلبية الجزائر العاصمة، قد دخلنا مرحلة السرية منذ بدء سريان الإضراب 19 ماي 1956، حيث خضعنا بعدها لفترة تدريبية بأمر، وتحت إشراف الأخ الدكتور محمد صغير النقاش، ودام التدريب أزيد من أسبوع في منزل الأخ الدكتور بوضربة محمد، وقد تلقينا خلال ذلك تدريبات على استخدام وتفاسيم العلاج الأولي، مع بعض التوجيهات التي تدخل في مجال التوعية والتعبئة ثم بعدها التحقنا بالجبال..أنظر عقيب، محمد السعيد: المرجع السابق، ص 106.

¹⁴ أمال، شليبي : التنظيم العسكري في الثورة التحريرية الجزائرية، رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، باتنة، 2005-2006، ص 394

15 شتوان، نظيرة: الثورة التحريرية 1954-1962، الولاية الرابعة نموذجاً، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، جامعة أبو بكر بلقايد، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2008/2007، ص 336

¹⁶ FR.CAOM :ORAN 299 ;service sanitaire ;règlement de blesse. wilaya d'oran.

¹⁷ Etat major l'armée de terre :1h2582 ;FLN/C.N.R.A1956-1958

¹⁸ شتوان، نظيرة: المرجع السابق، ص 336

¹⁹ دحلب، سعد: المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، منشورات دحلب، ص 238

²⁰ Etat major l'armée de terre .service

historique :1h1594/D1 :wilaya5 :la zone 7.Détail des médicaments.29/05/1961.

²¹ المجاهد، جيش التحرير الوطني بين الأمس واليوم -مصلحة الصحة -، عدد 11، ص 10.

²² شتوان، نظيرة: المرجع السابق، ص 346.

²³ برنو، توفيق: المرجع السابق: ص 135 .

²⁴ 1h1594-d1 : Maroc. Aïd logistique, Fiche N : A.M

13(3)/28.09.1956.

²⁵ عسول، صالح: اللاجئون الجزائريون بتونس ودورهم في الثورة 1962/1956، رسالة مقدمة لنيل

شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الحاج لخضر باتنة ، كلية الآداب والعلوم الانسانية قسم

التاريخ وعلم الآثار، 2008-2009، ص 93 .

²⁶ برنو، توفيق: المرجع السابق، ص 143 .

²⁷ حياطي، مصطفى: المرجع السابق، ص 502.

²⁸ نفسه، ص 444.

²⁹ مثل ألمانيا التي كانت ترسل الأدوية، مثل ارسال الصليب الأحمر الألماني سيارة اسعاف للهلال

الأحمر الجزائري في ديسمبر 1957، انظر:

Etat major l'armée de terre:1 h1586..croissant- rouge D4 fiché

n° :5(4)5-12-1957

³⁰ أحمد، بشيري: الثورة الجزائرية والجامعة العربية، منشورات تالة، الجزائر، 2005، ص 126.

³¹ مصطفى، حياطي: حقوق الانسان في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي، منشورات

، الروبية، 2013، ص 445 .

³² الدكتور بومدين بن سماعيل :من مواليد 13 جويلية 1916 في مسنغام، حصل على البكالوريا

1938، وقرر أن يكمل دراسته العليا في فرنسا، ناقش مذكرته في الطب في 30 جويلية 1946، فتح

عيادته الطبية في وهران ثم انتقل الى العمل في مسنغام ،انخرط في العديد من الأحزاب السياسية بداية

من نجم شمال افريقيا حتى حزب الشعب الجزائري، في سنة 1956 غادر الى المغرب ووضع نفسه في

خدمة تنظيمي جبهة وجيش التحرير الوطنيان أنظر: المرجع نفسه، ص 484 .

³³ حياطي، مصطفى، المآزر البيضاء خلال الثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 443.

³⁴ Ibid.: fichier n° :B.5(1).20/08/1957

- 35 حفظ، عاشور: نشأة الهلال الأحمر الجزائري ودوره في قضية الأسرى إبان الثورة التحريرية 1957-1962، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، العدد 13، جانفي، 2015، ص 109
- 36 نفسه، ص 109.
- 37 Ibid. :fichier n° :5.(4)11/04/1957
- 38 خياطي، مصطفى: حقوق الإنسان في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص 476.
- 39 Gilbert ;Meynier : Histoire Intérieure Dy FLN 1954-1962. CASBAH Editions. 2003. algre. 496.
- 40 Gantari ;Mohamed : Organisation politico administrative et militaire de la révolution algérienne 1954-1962 ,volume 1,Alger.2000,p 298.
- 41 SHD ; G R1H.1648 ;Croissant Rouge Algérienne ;service de la sante. Guide d'infirmiers
- 42 برنو توفيق : المرجع السابق، ص 135 .
- 43 نفسه، ص 135.
- 44 خياطي، مصطفى : المآزر البيضاء خلال الثورة الجزائرية ،المرجع السابق، ص 29.
- 45 المرجع السابق ، ص 42.
- 46 صايكي، محمد : شهادة تائر من قلب الجزائر، مذكرات النقيب محمد صايكي ،دار الأمة الجزائر ، ص 159 .
- 47 1h1691.d2Organisation du FLN –ALN. Service sanitaire (Note renseignements)Alger le 1 juin 1957.